المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية
The national center for research
and scientific studies

ورقة بحثية بعنوان:

توطينُ المعرفةِ رافدٌ للأمن القومي الليبي

إعداد / أ.د أحمد الهادي رشراش
عضو اللجنة العلمية بالمركز

مقدمة:

إنّ المعرفة هي ما يميّز الإنسان عن باقي المخلوقات، فقد ميّز الله – سبحانه وتعالي – الإنسان من باقي المخلوقات بالعقل، ومن ثمّ جعل لديه القدرة على التفكير، ومن ثم اكتساب المعرفة، فمنذ السنوات الأولى من حياة الإنسان يظل يتعرّف عن الأشياء من حوله، فيتعرّف إلى والديه وإخوته وأسرته والأغراض الموجودة في البيت، ثم تتوسع معارفه عندما يخرج من البيت، فتبدأ معرفة التعرف إلى الأقارب والجيران والطبيعة، إلى أن تأتي مرحلة الدخول إلى الروضة والمدرسة وتنطلق عملية اكتساب المعارف والفنون والعلوم.

وقد ظل الإنسان يبحث عن المعرفة منذ وجد على سطح البسيطة، وأخذ يفكر ويبحث عن المعرفة، فاستمرت عملية التطور والتغير في حياته من مسكن وملبس ومركوب وغير ذلك إلى أن وصل إلى هذه الثورة المعرفية الكبيرة التي قلبت حياته رأسًا على عقب.

واليوم تتسابق الشعوب في الحصول على المعرفة، بل وإنتاجها، لكي تكون لها مكانة بين الشعوب، وتسطيع أن تجاري سرعة التطور العلمي والتقني والتكنولوجي، لذلك صار توطين المعرفة أمرًا ضروريًا وملحًا، للحاق بركب الحضارة، والحفاظ على الأمن القومي.

◀ التوطينُ:

التوطين: مصدرُ وَطَّنَ يُوَطِّنُ. وَطَّنَ الشَيءَ أَسْكَنَه. ومنه: توطينُ النفسِ على الصبرِ: حملُها عليه. وَوَطَّنَ المهاجرين: آواهم وأسكنهم. وَوَطِّنَ فلانٌ بالمكانِ: أقامَ. والوطنُ: مسكنُ الإنسانِ، ومقرّهُ، ومكانُ إقامته. ووطّن البدوَ: أسكنهم ونقلهم من حالة البداوة والترحال إلى المدنية والإقامة الدائمة.

وهنا بيتُ القصيدِ: فتوطينُ المعرفة: تسكينها وإقامتُها في المجتمع، ونقلُ المجتمعِ من حالةِ المجتمعِ المستقبلِ للمعرفةِ المستهلك لها، إلى حالةِ المجتمعِ المنتجِ للمعرفة.

◀المعرفة:

المعرفة في اللغة: عَرَفَ الشيء أدركه بحواسه.

وفي الاصطلاح: "هي عملية إدراك وفهم للحقائق من خلال التفكير، واكتساب المعلومات". وجاء في قاموس أكسفورد أن المعرفة:

- "ما يتكون في الذهن من مفهوم لشيء".
- "تمييز ما هو ضار وما هو نافع".
- "معرفة الخير والشر".
- "قوة الفهم والتمييز".

وترتبط المعرفة ارتباطًا وثيقًا بمصطلحات عديدة، أبرزها: "علم – ثقافة – اطلاع – تضلّع في العلوم".

◀الأمن القومي:

يعني حماية السلطات (البرلمانية والحكومية والقضائية والعسكرية والأمنية) للوطن والمواطنين، عبر سياسات فرض السلطة (سياسيًا، واقتصاديًا، وعسكريًا، وأمنيًا ... الخ)، ثم تطوّر هذا المفهوم ليشمل الأمن الغذائي، والأمن المائي، والأمن المعلوماتي، والأمن الثقافي ... الخ.

واتسع مفهوم الأمن القومي عما كان سائدًا قبل الحرب العالمية الثانية؛ فلم يعد مقصوراً على حماية البلاد من العدو الخارجي فحسب، بل تطوّر وتوسّع ليشمل مكافحة الفساد المالي، ومحاربة تجّار البشر، وتجّار المخدرات، ومواجهة الأحداث والكوارث الطبيعية، وغير ذلك مما يتعلّق بسلامة الوطن والمواطن.

▶ توطين المعرفة:

يعني الاعتماد على المعرفة والعلم والإبداع والابتكار للحاق بركب الحضارة الإنسانية، ولإثبات الوجود في هذا العالم الجديد، وذلك برسم خارطة توطين المعرفة، وإفراز أجيال قادرة على الإبداع والابتكار والتطوّر، فالمال والقوة وحدهما، لا يصنعان الحضارة، ولا يصونان الأمن القومي، بل لابد من الاعتماد على العلم والمعرفة، لكي تكتمل المعادلة، فالدولة تُبنى وتُصان بتناغم القوة الاقتصادية مع العلم والمعرفة، وبهذا فإننا أمام خيارين:

1. فإما أن نُنَمّي مجتمعنا بالعلم والمعرفة، ولاسيما أننا نمتلك المال.
2. وإما أن نغرق في قاع الهيمنة التكنولوجية الجاهزة، التي تفرضها الدول المتقدمة.

وكما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

يا طالبَا لمعالي الملك مجتهدًا *** خذها من العلم أو خذها من المال

بالعلم والمالي يبني الناس ملكهم *** لم يبنَ ملك على جهل وإقلال

◀ المعرفة والأمن القومي:

- **السلطة والمعرفة والأمن القومي:**

تُعدّ المعرفة من أهم روافد الأمن القومي، فالسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية تقع على عاتقها المهام الأولى والكبرى لحماية الوطن والمواطن، من خلال القيام بالمهام التشريعية، والمهام الحكومية، والأمنية، والعسكرية، وتقديم الخدمات البيئية، والتعليمية، والصحية، وغيرها.

وهذه السلطات المختلفة لا يمكن أن تقوم بواجباتها على أكمل وجه إلا من خلال المعرفة، وذلك باختيار الأشخاص ذوي الكفاءات المتخصّصين، والاعتماد على نتائج مراكز البحوث المتخصّصة في اتخاذ القرار، في شتى المجالات، وبناء القرارات على المعرفة والمعلومات والبيانات والإحصائيات، والابتعاد عن العشوائية، وتغليب مصلحة الوطن والمواطن، على المصالح الشخصية.

- **المواطن والمعرفة الأمن القومي:**

إنّ مسؤولية الأمن القومي لا تقع على عاتق الجهات التشريعية، والحكومية، والقضائية، والأمنية، والعسكرية فحسب، بل تقع بشكل لا يقل أهمية عن ذلك، على عاتق المواطن، فالأمن مسؤولية كل أفراد المجتمع، وهذا لا يتأتّى إلا بالمعرفة، فالمواطن المزوّد بقدر كافٍ من المعرفة، يكون أقرب إلى الحفاظ على الأمن القومي من غيره؛ لأنه يدرك أهمية الوطن، وواجبه تجاهه، حيث لا يمثل له الوطن مجرّد مكان للسكن والنوم، بل يمثل له الحياة والوجود، يقول رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم -: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف". ولا شك في أن المواطن المتسلّح بالعلم والمعرفة خير من فاقدهما.

◀ المعرفة والثقافة:

الثقافة هي: مجموعة المعرفة المكتسبة بمرور الوقت، أو هي غنًى فكري ومعرفة واسعة. والعلاقة بين المعرفة والثقافة هي علاقة الكمّ بالكيف، فإذا كانت المعرفة هي اكتساب كمّ كبير من المعلومات والخبرات، فإنّ الثقافة هي كيفية تطبيق هذه المعارف والخبرات، ومن ثمّ تصبح المعرفة ثقافة، فلا فائدة من امتلاك المعرفة من غير العمل بها، فلا أحد منّا لا يعرف أن الخروج في الإشارة الضوئية الحمراء ممنوع، ولكنّ كثيرين يخالفون ذلك؛ وذلك لأنهم اكتسبوا المعرفة، لكنها لم تتحوّل لديهم إلى ثقافة، وكذلك فإن كلنا يعرف أن الأمن القومي واجب وطنيّ، وضرورة حتمية، ولكن كثيرين لا يكترثون لذلك؛ لأنهم اكتسبوا المعرفة، لكنها لم تصبح عندهم ثقافة.

◀ الخلاصة:

من خلال هذا العرض لتوطين المعرفة رافد من روافد الأمن القومي، تبيّن لنا مدى أهمية توطين المعرفة في اللحاق بركب الحضارة، والحفاظ على الأمن القومي، ولكنّ ذلك لا يتحقّق بالأماني، بل يحتاج إلى مشروع وطني، تتبناه السطات التشريعية والتنفيذية، وإسهامًا منّا في تحقيق ذلك، نوصي بما يلي:

◀ التوصيات:

- وضع خطط وبرامج لنشر المعرفة أولًا، ثم العمل على التحول من مجتمع متلقٍ للمعرفة إلى مجتمع منتج لها.
- دعم المراكز البحثية المتخصّصة في جميع المجالات، وتوسيع الإنفاق على البحث العلمي، وتشجيع الباحثين وتحفيزهم.

- نشر المعرفة في شتى المجلات، والتشجيع على اكتساب المهارات التكنلوجية المختلفة من خلال دورات التدريب في جميع القطاعات.
- خلق جيل قادر على الإنتاج العلمي والمعرفي.
- إصلاح التعليم، في جميع مراحله، وتطوير المناهج، بما يرسّخ مبدأ المواطنة، ونمو الحس الأمني القومي.
- دعم الإعلام الوطني (المرئي – المسموع – المقروء) لكي يستطيع مجاراة الإعلام الموجّه الممول.
- تشجيع الفن وتمويل الأعمال الفنية الوطنية (مسلسلات – مسرحيات – أغاني وطنية - أعمال أدبية... الخ) التي ترسّخ قيم المواطنة، وتحافظ على الهوية الليبية، وتعاليم الدين الإسلامي.
- إنشاء منصّات ثقافية رقمية تقدّم برامج علمية ومعرفية متنوعة تتيح للشباب الإسهام في صناعة المحتوى.
- إحداث ودغم برامج تحويل الكتب الورقية إلى رقمية لزيادة أعداد القراء.
- تشجيع ودعم حركة الترجمة والتعريب، لاسيما في العلوم والتكنولوجيا، إثراء للمدونة المعرفية العربية.